

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة إجتماع المجلس الأعلى للتربية الوطنية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

حضرات السادة:

إننا لنحس بابتهاج ما عليه من مزيد في هذه اللحظة التي نترأس فيها اجتماع المجلس الأعلى للتربية الوطنية، فإنه لا يثلج صدرنا شيء مثل مباشرة الأشياء التي لها ارتباط بالتربية والتعليم.

ومن نافلة القول أن يتحدث المرء عن أهمية التعليم بالنسبة للأفراد وهو ضروري لعيشهم ضرورة الماء والغذاء والهواء، ولا عن أهميته بالنسبة للجماعات في هذا العهد الذي فرغت فيه الانسانية من البحث عن مجهول الأرض وعنيت باكتشاف مجاهل الفضاء، فلا مكان لقدم جاهل في المجتمعات الحديثة التي تحيى بالعلم وتزدان بالثقافة، ولا اعتبار فوق البسيطة لأمة قعد بها عن مسايرة مواكب الحضارة المتجددة والتطور الدائب جهل شائن وركود فكري مهين.

وليس يخاف عليكم كيف كانت حالة المغرب في الميدان التربوي التعليمي عندما تحررنا وأمسكنا مقاليد أمورنا سنة 1956 فلقد كانت الحالة مخيفة والوضع مريعا، إذ كان أكثر من تسعة أعشار أبنائنا الذين هم في سن التعليم يوجدون خارج المدارس، وكانت مجموعات من السكان تعد الواحدة منها عشرات الألوف من النسمات لا يوجد في ترابها فصل مدرسي واحد، أما التعليم الذي كان يلقن على نطاق ضيق في المدن وفي بعض القرى فإنه لم يكن ليهييء متعلمين متنورين، ولا ليكون مواطنين صالحين، كما أنه لم يكن ليساعد على خلق مجتمع منسجم تفكيرا واتجاها وعملا، لأنه كان تعليما ضعيفا متعددا أجنبي اللغة والروح، فكان لزاما علينا كأمة تشعر بمسؤولياتها حيال نفسها وحيال الأسرة البشرية التي هي عضو فيها أن تدخل تحويلا جذريا على التعليم فتعممه في مختلف مراحله، وتجدد مواده ومناهجه تجديدا يجعله في مستوى التعليم بالبلدان الراقية، وتوجهه توجيها قوميا قمينا أن يجعل الذين يزاولونه تلاميذ وطلابا — رجالا واعين يعرفون ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وطنية.

ومهما فصحت الألسنة وسلست الأقلام فإنها لا تستطيع أن تفي بالشكر والثناء في هذا المقام على جلالة الملك المرحوم محمد الخامس نور الله ضريحه الذي نفخ في التعليم من روحه ومنحه كامل عطفه وتشجيعه وسهر بنفسه سهرا متواصلا على أن يستفيد من مزاياه أكبر عدد من أبناء شعبه تماما كما كان يفعل مع أبناء صلبه وأفراد أسرته فبفضل جهود ذلك الملك المصلح العظيم وتوجيهاته الرشيدة وبفضل الجهود التي بذلها ثلة من معاونيه الأوفياء أمكن إدخال إصلاح عميق على التعليم ونشره في الحواضر والبوادي وتحديد أهدافه وغاياته وتوسيع ميادينه وإعلاء صروحه وتيسير أسبابه.

ومن الاقرار بالحقيقة أن نشير الى أننا إذا كنا أفلحنا في نشر التعليم على نطاق واسع وفعلنا في سنة ما

لم يفعله الذين كانوا يقبضون على زمام الأمور بالمغرب خلال أربعين سنة فإننا لم نفلح في رفع التعليم الى المستوى المنشود فإزاء الاقبال المدهش على المعرفة والرغبة الأكيدة في تلقنها اضطررنا الى قبول أعداد كبيرة داخل القسم قد تتجاوز طاقة المعلم، والى الأخذ بنظام التناوب داخل القسم الواحد وهذان السببان مضافا إليهما قلة المعلمين والأساتذة الكفاة ينتج عنهما حتما ضعف في المواد الملقنة وقصور في وسائل التلقين على أن وزارة التربية الوطنية لم تأل جهدا في مواجهة هذه الحالة بما يجب من وسائل العلاج الناجعة فهي لا تفتأ تفتح في طول البلد وعرضه مدارس لتكوين المعلمين والمعلمات وتوفد البعثات الى الخارج للتكوين والتدريب وتستقدم من الشرق وأوربا المعلمين والاساتذة الكفاة لكن ذلك كله لم يكن له الأثر المطلوب لحد الآن نظرا لهذه الموجات من التلاميذ والطلاب الذكور والاناث التي تتدفق على المدارس والمعاهد والكليات على أن لنا كامل اليقين بأن الحالة ستتحسن يوما بعد يوم لأن الجهود المتواصلة المبذولة في ميدان تكوين المعلمين والأساتذة ستؤدي لا محالة الى رفع مستوى التعليم حتى يصير كفيلا بتكوين المواطن الصالح ومد الدولة بما تحتاج إليه من أطر متوسطة وعليا في مختلف الميادين.

حضرات السادة:

أما عن التوحيد فقد كان هدفنا ولا يزال أن نلقن في جميع مدارسنا الابتدائية والثانوية تعليما متشابها لغة ومادة وأسلوبا إذ ذاك هو الوسيلة الوحيدة لايجاد أجيال جديدة تفكر تفكيرا واحدا وتقيس بمقاييس متماثلة وتتجه اتجاها لا تنافر فيه ولا تباين وقد خطونا أشواطا بعيدة في تحقيق هذا التوحيد وقربنا أنواع التعليم من بعضها وقضينا على بعض الأنواع التي فرضتها السياسات الأجنبية البائدة فرضا ولولا اختلاف لغة التلقين الذي هو العائق الوحيد في وجه التوحيد لكنا حققناه تحقيقا كاملا بكل تأكيد.

وفي هذه النقطة بالخصوص ينبغي أن نشير الى أن الشعب المغربي شعب مسلم عربي قام عبر التاريخ بدور كبير في نشر الثقافة العربية والحضارة الاسلامية بالمغرب الاسلامي والقارة الافريقية على الخصوص وإن تشبثنا بالقيم الاسلامية التي ندين بها وتمسكنا بالقومية العربية التي نعتز بها كل الاعتزاز ليجعلنا حريصين على أن نواصل أداء الرسالة الاسلامية العربية كذي قبل ويفرض أن يكون تعليمنا عربي التلقين مشبعا بالروح الاسلامية وان هذا الهدف عزيز علينا وقد كافحنا في سبيله وتحملنا من أجله أغلى التضحيات ولن يقر لنا قرار حتى نبلغه لكننا نعاني فقرا كبيرا في المعلمين الكفاة الذين يستطيعون أن يلقنوا كامل المواد ولا سيما الرياضية منها والطبيعية باللغة العربية التي أسدت للحضارة في الماضي أسنى الخدمات وهذا الفقر هو الذي يجعلنا نسير في طريق تعريب التعليم بالتدريج لأننا نحذر مغبة كل ارتجال يؤدي الى كارثة ويعود بأسوأ النتائج على أننا قررنا أن نعرب تلقين كل مادة كلما توفر لدينا معلمون ماهرون قادرين على تلقينها بالعربية وان المشروع الجديد الموضوع بين أيديكم الآن ينص على تلقين الجغرافيا والتاريخ باللغة العربية ولن تبقى الفرنسية لغة تلقين إلا بالنسبة للمواد الطبيعية والرياضية ومن المسلم به أن هذه المشكلة ستجد حلها مع الزمان بتكوين المعلمين الماهرين.

على أن تعليم لغة أجنبية في مدارسنا ومعاهدنا ليس من الأمور التي يتخوف منها إذ ما من أمة على وجه الأرض إلا وهي تعلم في مدارسها ومعاهدها لغة أو لغات أجنبية ويجب أن نتذكر دوما أننا نعيش في القرن العشرين قرن العلوم الذرية والاكتشافات الفضائية وان إتقان اللغات الأجنبية ليفسح أمامنا آفاقا ستظل بدونها مغلقة ويجعلنا على اتصال مباشر بالعالم ويمهد لنا السبيل للاستفادة المباشرة من مقتنياته في الحضارة والتجديد ويغذي العربية نفسها بعناصر تضمن لها الحيوية والنشاط كما أن إتقان تلك اللغات يساعدنا على التكوين السريع



للفنيين الوطنيين الذين سيضطلعون بإدارة دواليب النهضة العلمية والصناعية مثلما يساعدنا على الاحتفاظ بمركزنا كصلة وصل بين الشرق والغرب ومد إشعاعات المغرب الفكرية الى الأقطار الافريقية.

لقد قررنا أن نشن حربا عوانا على الأمية والجهل ونفسح أمام فتياننا وفتياتنا آفاق العلم والعرفان فليس بجائز لأمة تحترم نفسها وتنشد العزة والرفعة أن يكون فيها أميون وجهال وليس بجائز لحكومة أن تصد عن المدرسة من جاءها يلتمس فيها علما وثقافة، وإن المشروع الذي يضعه بين أيديكم وزيرنا المكلف بالتربية الوطنية ليهدف في آن واحد الى تعميم نشر التعليم ورفع مستواه وسيكلف البلاد تضحيات مالية جسيمة لأنه يستلزم إنفاق مئتي مليار فرنك في خمس سنوات زيادة على النفقات العادية المقررة كل سنة لشؤون التعليم لكنها تضحيات تهون ويتقبلها الشعب بكل رضى لأنها في سبيل بلوغ هدف عزيز عليه وستناقشون هذا المشروع بكامل الحرية وتستنير الوزارة في تطبيقه بما تبدون من ملاحظات وتقدمون من توصيات وسيكون رائدكم وأنتم تناقشونه خدمة الصالح العام مثلما كان الصالح العام رائد الوزارة وهي تضعه إن الأمر يتعلق بسعادة أولادنا ومستقبل وطننا فيجب أن تنظروا فيه بتجرد وإخلاص وتمدوه بالعناصر التي تضمن له الكمال وتحفوه بالوسائل التي تكفل له النجاح وبذلك لا تكونون أديتم واجبكم فقط كأعضاء في المجلس الأعلى للتربية الوطنية وإنما تكونون أرضيتم أيضا ضمائركم كمواطنين مخلصين يسعون لرقي الوطن ويعملون لتوفير أسباب التقدم والسعادة لأجياله الصاعدة.

ألقي بالرباط

الخميس 18 جمادى الأولى 1382 — 18 أكتوبر 1962